مُذكّراتُ مَجنُون .

أصغير ادريـــس

حين انحدر من الطرف العلوى للزقاق المحدودب ، اشعل سيجـــارة وقال فى نفسه بان الدنيا تافهة، تافهة ... هل تذكر موت أبيك جيدا ؟ سكنت انفاسه فى الهزيع الاخير من الليل . كان شجاعا . لم يوقظ احدا . جابـــه وحده عزرائيل المخيف . وكنا نحن ننعم بأحلام الصباح المبكر الوردية ، وهذا الزقاق الضيق المحدودب . وهذه الجارة الخبيثة القبيحة التى تدعوك الى مضاجعتها بألف طريقة فترفض . وهذا البقال الذى ينتظر آخر الشهر. — ياولدى اصبر . منذ اليوم انت الرجل . انت المسؤول . حامى الحمى، أنت . انت .

ووجوه الاصدقاء ؟ انتم ايها الاصدقاء المخلصون . لولاكم ما كان للحياة معنى ... والحب الاول ؟ اول رســالـــة حب ، اول بسمـــة ، اول موعد ، أول قبلة ... والكلاب ؟ كلاب الصيد ينتشرون فى كـــل مكـــان ، يستنطقون الجدران ويشتمون ... انوفهم طويلة ،،، عيونهم ،،، مؤخراتهم ،،، الزناة . بكيت . تخبطت برجليك ويديك . قالوا لا تنزع ، أبوك ذهب للسفر ثم يعود . كنت تعرف انه لن يعود أبدا . فما كان الاموات يعودون ، والطابور الطويل كل ثلاثة اشهر ؟ العدل والانصاف . عيـــون الحـــارس وعصاه . كل متأخر يقف فى ذيل الطابور . العدل والانصـــاف . الشمس والذباب . والرغبة الرعناء فى التحطيم . تحطيم اى شىء . كل شىء ،،، كل متأخر يقف فى ذيل الطابور ... كان الموظف يحضر متأخرا منتفخ العينين ينهض لتوه من النوم . كان قد سهر ليلة امس فى احدى حانات المدينة ، نظر الى الطابور بازدراء . مشى متبخترا الى مكتبه . انزلقت امراة مـــن آخر الطابور وتشبثت بيده تقبلها . جذبها الحارس بعنف . غضب الموظف وقال لاصحاب الطابور (همج) . صفق باب مكتبه من ورائـــه . سرت همهمـــة بيـــن الـــواقفين .

— يا ولدى اصبر . ان الله لا ينسى عبده . ومن ابكى يتيما عاقبه الله . ونعيمة ؟ نعيمة يا اجمل فتاة فى الدنيا . يا ابهى واحلى ، يا حبيبتى.

هل نسكن عش عصفور ؟ ونطعم حبات فول ؟ هل ..؟ شقراء روحـــاء حبيبتـــي ...

في قصره الانيق على شاطىء البحر كان السيد (الباترون) غاضبا يعزف عن تناول الطعام . وكانت السيدة (زوجة الباترون) تواسيه . كان يسرف في التدخين على غير عادته ، لان التدخين ينفس عن المهموم وينقص العمر ثـم قـــال :

ـــ تصوري يا حبيبتي . يا أجمل فتاة في الدنيا . يا أبهى واحلى ، انهم يريدون تحطيم حياتنا . هؤلاء (الهمج) يستمرون في الاضراب . يريدون امتلاك معملي أنا . انا الذي انقذتهم من حياة الجوع والبطالة . يحطمون سعادتي يا شقراء روحاء حبيبتي .

قال الموظف لاصحاب الطابور بلهجة صارمة : عودوا غدا . غضب البقال وصاحب الكراء وصاح (مسيو البروفيسور) في وجـــه التلميـــذ (همج) ، وهذا الزقاق الضيق المحدودب ، قال شيخ الحومـــة يغـــازل امراة من سكان الحي :

ـــ متـــى نـــراك يا جميلـــة ؟

ضحكت المراة وحركت عجيزتها متى ابتعدت منه قليلا . تأوه برغبة وقال في نفسه لن افلتهـــا .

عاد التلميذ الى المنزل باكيا . هو لا ينجح في الشـهادة . هم يطردونه. قالت أمه لابيه بأن يصنع له صندوقا لمسح الاحذية . قلـــب الاب طبـــق الطعام في وجه الام . هو كان يريد لابنه ان يصبح طبيبا .. يا نيرون احرق كل امدن . كل الازقة . احرق الاوصياء يا نيرون . الاوصيـــاء الزنـــاة ، المزينين الزائفين .. كان شجاعا ، لم يوقظ احدا . جابه لوحده عزرائيل المخيف ،،، نيرون أحرق كل الخطباء .

ـــ يا ولدي اصبر . أنت الان رجل

بقامة مديدة وشارب ونظارتين طبيتين . رجل أنا . وهذه الكوابيس ؟ الدماء وجاود اكباش العيد . جلود اكباش العيد .. تسير في الطريق المبللة بقطرات المطر . تحادث نفسك بصوت مرتفع . تقلص عضلات وجهك ، تكز بأسنانك على عقب دخينتك . تكور يديك وتبسطهما . تقذف برجلك الاحجار وسدادات المشروبات . يفر الناس من امامك . يتحاشاك الاصدقاء وينظرون اليك في حزن وتعاطف .

الصغير ادريس ـــ البيضاء